المحاضرة الخامسة: عوامل قيام النضال السياسي ومظاهره في تونس 1881– 1906:

ارتبط النضال السياسي بتونس بالوضع السياسي العام، وانعكاسات السياسة الاستعمارية حيث عرفت تونس نمو النزعة الوطنية التي عبرت عنها النخبة المثقفة في مظاهر سياسية ازدادت نشاطا وتطورا مع بداية القرن العشرين، وقد تظافرت عوامل عديدة في رسم مستقبل النضال التونسي ومواجهته للإستعمار الفرنسي، وفيما يلي أهم العوامل المساهمة في النشاط السياسي:

أولا– عوامل قيام النضال السياسي بتونس: يمكن تقسيم العوامل إلى داخلية وخارجية.

1– العوامل داخلية: تمثلت العوامل الداخلية فيما يلي:

– تغير النمط المعيشي للسكان وخاصة بعد النزوح الريفي والهجرة نحو المدن، وتراجع النزعة القبلية والشعور بالإنتماء الوطني والسعي لتحقيق إصلاحات للوضع التونسي، والتخلص من الممارسات الإستعمارية وخطرها المضرّ بمصالح الأهالي والتضامن للتصدي للخطر المشترك .

– توفر وسائل النقل والمواصلات والتطورات العصرية التي عرفتها تونس في ظل الحماية قصد النهوض بالإقتصاد الإستعماري، مما ساهم في التكامل الإقتصادي بين مختلف الجهات وبين مصالح الأهالي وزوال الفوارق العقلية بين الجهات وخاصة بين سكان المدن والأرياف والذي مثل ركيزة للوعي الوطني ونشر الأفكار الوطنية في أرجاء البلاد[1].

–آثار الإستعمار الزراعي وإفلاس الصناعات التقليدية وإقصاء الأهالي من السلطة الإدارية ومن ثروات بلادهم مما جعلهم يعانون من سياسة التهميش بقدوم أفواج المعمرين وتطور السياسة الإستعمارية في الميدان الفلاحي مما أذكى روح المناهضة ضد الإستعمار[2].

–دور التعليم العصري الذي اهتمت به المدارس والجمعيات في نمو الوعي الوطني لدى التونسيين من خلال:

–الشعور بضرورة التلاحم لمواجهة المحتل انطلاقا من وحدة العقيدة والدين الإسلامي كعنصر مكون للشخصية التونسية، ونشاط جامع الزيتونة الديني والتوعوي.

–ظهور نخبة من المثقفين والمصلحين المتأثرين بالوعي الديني المشرقي منهم خريجي الزيتونة والمعهد الصادقي سنة 1875،حيث تكوّن عنصر جديد ناشيء من المتعلمين من المدرسة الصادقية جمعت ثقافتهم بين الثقافة الإسلامية والغربية، وكشفهم للتناقضات القائمة بين مبادئ الثورة الفرنسية 1789 والواقع الإستعماري الفرنسي بالبلاد التونسية، وتطور نشاطهم السياسي القائم على نمو الروح الوطنية والوعي بالهوية التونسية[3].

---

[1] . علي المحجوبي، الحركة الوطنية التونسية بين الحربين، مقاربة، منشورات الجامعة التونسية،تونس، 1986، ص24.

[2] . الحبيب الجنحاني، الحركة الإصلاحية في تونس خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مجلة حوليات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، العدد6، 1969،ص147.

[3] . محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس في القرنين 13–14هـ/ 19–20م مراجعة: محمد المختار العبيدي، المجمع التونسي للعلوم و الآداب والفنون بيت الحكمة، تونس، 2009،ص 72.

– ظهور عدد معتبر من الصحف التي ساهمت في نقل الأفكار السياسية والإقتصادية والإجتماعية ونشر فكر عام ووعي وطني لدى التونسيين وتطوير أشكال النضال.

– زيارة محمد عبده إلى تونس في نوفمبر 1884 أقام فيها أربعين يوما تعرّف على الملك وولي العقد وأمراء البيت وكانت له اتصالات بأعضاء العروة الوثقى في بيت الشيخ محمد السنوسي، ثم زيارته لها سنة 1903 واتصاله بزعماء الإصلاح التونسيين وتحفيزه للتونسيين بعد الإستماع إليهم بضرورة توحيد الأمة العربية والمسلمين وأهمية الحركة الاصلاحية التونسية، ويُعبّر الفاضل بن عاشور عن هذه الزيارة الثانية وأثرها بقوله:" واهتزّت لمقدمه أندية العلم والأدب والإصلاح، وأقبل على الترحيب به واستضافته عظماء البلاد وعلمائها، وجرت الأحاديث والأبحاث والتقى به المنتقدون عليه، واشتدّ الجدال بينه وبينهم في مسائل كثيرة فلم يخرج ذلك بهم عن تعظيمه ورعاية مقامه، فكانت زيارته موسم نفاق العلم والأدب والمباحث الإصلاحية والفكرية .."[1].

–نقل الكثير من الأفكار في النضال السياسي والنقابي من الفرنسيين إلى تونس واستفادة التونسيين من أفكار التحرر الإجتماعي وأساليب التنظيم النقابي، وإصدار قانون تكوين الجمعيات في 15 سبتمبر 1888، مما ساهم في تكوين النقابات بصفة مبكرة [2].

–صدور قانون 1319هـ/1901 م الخاص بالصحافة والذي يخفف القيود ويرفع وجوب الضمان المالي المرهق الذي كان كل طالب لامتياز صحيفة مطالب بإيداعه مما ساعد على ازدياد روح النهضة الفكرية واتّقادها[3].

2 – العوامل الخارجية: ساهمت عدة عوامل خارجية في تدعيم النضال التونسي أبرزها:

–تطلّع التونسيين إلى تدخل الدولة العثمانية وترقب طلائع الإنقاذ من خلال نداء الجهاد والإستنجاد بالسلطان العثماني باعتباره خليفة للمسلمين،خاصة وأنّه بعد فشل المقاومة المسحلة التجأت بعض القبائل إلى طرابلس رغبة في الحماية واستعادة الروح لمواصلة المقاومة، غير أنّ التطورات السياسية كانت تنذر بسقوط الدولة العثمانية أمام التراجع الذي عرفته وتغلغل النفوذ الإستعماري في عديد الأقطار والأقاليم التابعة لها.

– نشاط حركة الجامعة الإسلامية بعد تأسيس العروة الوثقى سنة 1882 من طرف جمال الدين الأفغاني لتوحيد الممالك الإسلامية وتحريرها فقد استقطبت من التونسيين الشيخ محمد بيرم، والشيخ محمد السنوسي الذي صار من أعضائها بعد سفره في 1882، وترويجه لجريد العروة الوثقى بتونس سنة1884مع الشيخ محمد بيرم الخامس[4].

– نشاط مجلة "المنار "واهتمامها بالشأن التونسي وانتشارها بتونس بين أعضاء النخبة الفكرية التونسية كما ارتبطت ارتباطا وثيقا بالنهضة الفكرية التونسية، وكانت تكثر من نشر أخبار عن تونس فيما تعلق منها بالتعليم

---

[1] . الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 88.

[2]. الدقي، تونس من الأيالة إلى الجمهورية، ص 76.

[3]. الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 87.

[4] . وجدت هذه الفكرة استجابة في أوساط التونسيين وخاصة من علماء الزيتونة الثائرين والحركة الإصلاحية، وخاصة الشيخ سالم بوحاجب وتلاميذه، للتفاصيل أنظر: الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة، ص 31؛ الفاضل بن عاشور، المصدر السابق،ص 70.

والإصلاح الدّيني[1]، حتى أنّ أعدادها عرفت انتشارا واسعا وكان الجزء الواحد من المنار يُدار على عشرات الناس بتونس خاصة ما تعلّق منها بالتعليم والإصلاح الديني بتونس، وهذا ما يبرز التأثير المشرقي في تطور النشاط النضالي والإصلاحي بتونس،وتأثير مجلة المنار في توجيه الحركة الفكرية بتونس.

شكلت هذه العوامل وغيرها منطلقات للعمل النضالي التونسي وتوسعه في دائرة الجغرافيا المجاورة المغاربية والعربية ،كما تدعمت معها انطلاقات العمل السياسي من خلال ما ساهمت به من وعي وأسست لتجربة جديدة في مناهضة الحماية الفرنسية في أشكال متنوعة.

ثانيا– مظاهر النضال السياسي ووسائله من (1881– 1906):

عرفت تونس بعد فشل المقاومة الشعبية المسلحة نوعا من الركود السياسي والذي لم يشهد إلاّ بعض الإحتجاجات المحدودة والمتقطعة، كما أنّ المثقفين التونسيين سعوا إلى بعث الروح الإصلاحية التي نشرها خير الدين في فترة سابقة، خاصة وأنّ ظروف المرحلة وتصاعد السياسة الإستعمارية حركت ركود النشاط النضالي والدعوة إلى النهوض بالبلاد من خلال العمل السياسي والثقافي، وهو ما عرفته تونس من أحداث متباينة تطورات نضالية و سياسية خلال هذه الفترة.

1– النازلة التونسية وتحرك سكان العاصمة (حوادث أفريل 1885):

تعتبر أول حركة احتجاجية قام بها السكان ضدّ سلطة الحماية بالعاصمة تونس يوم السبت 04 أفريل 1885 من طرف أعيان المدينة، وقد كتب تفاصليها محمد السنوسي لاحقا في كتاب أسماه "خلاصة النازلة التونسية " وارتبطت بأسباب منها : – التنظيم الإداري الجديد الذي فرضته سلطة الحماية وأثره على السكان ومصالحهم وعاداتهم — سخط ونفور السكان والأعيان من النظم البلدية المجافية للدين العابثة بالتقاليد منها ماتعلق بإباحة بيع الأملاك الممنوحة للمجلس البلدي واستعمال ثمنها في مايراه مناسبا، وتركز سلطات المجلس البلدي في كاهيتين من الفرنسيين — تقنين المجلس البلدي لطريقة تجهيز الأموات ودفنهم بطرق مخالفة للشريعة وتدخل السلطات الفرنسية في دفن الموتى وفق قوانين – تغيير طريقة توزيع المياه واسترجاعها من شركة تونسية ومنحها لشركة فرنسية —زيارة محمد عبده إلى تونس واتصاله بالشيخ محمد السنوسي وسماعه لانشغالاتهم وآلامهم[2].

كان لهذه العوامل وغيرها دور في قيام السكان بحركة احتجاجية تمثلت في مسيرة ضخمة ضمّت أكثر من 3.000 شخص في مدينة تونس يتقدمها بعض الأعيان اتجهت نحو ضاحية المرسى يوم 06 أفريل 1885 حيث القصر الملكي، وقابل وفدها الباي وقدمت له عريضة تتضمن مطالب واحتجاجات [3] كما تلاها اجتماع بمسجد سيدي محرز مع وزير القلم وشيخ المدينة ذكر فيها محمد السنوسي المطالب التونسية، ومقابلة مع الوزير

[1]. تأسست سنة 1898 من طرف رشيدرضا،عن نشاط المجلة واهتمامها بالشأن التونسي ينظر: الفاضل بن عاشور، المصدر السابق،ص 93.

[2] .نور الدين الدقي، تونس من الأيالة الى الجمهورية،ص 76.

[3] .الفاصل بن عاشور، المصدر السابق،ص 70.

الأكبر محمد العزيز بوعتور، وتقديم شكوى للمحاكم التونسية ضد شركة ماء زغوان وقّعها آلاف الأشخاص، هذه الأحداث كان لها وقع على الإدارة الإستعمارية التي استاءت من هذه الحركة الإحتجاجية، ومن نتائجها:

-تراجع الحكومة في بعض قرارتها وتنقيح نظم البلدية ومجالسها بما يتماشى مع تطلعات الوطنيين.

- قيام الإدارة الفرنسية بنفي وعزل النّخبة التي كانت وراء الإحتجاجات، ففصلت محمد السنوسي من التدريس ونفته لقابس، وبعض من أعضاء جمعية العروة الوثقى أمثال الشيخ أحمد الورتاني الذي تم عزله من جمعية الأوقاف وشيخ المدينة محمد الدلاجي، وحسونة بن مصطفى وكيل الأوقاف[1].

- تراجع بعض الأهالي في طريقة الإحتجاج حيث آلت الحركة الإحتجاجية إلى الإخفاق وتغيير استرايجية العمل النضالي كما بينت صعوبة القيام بحركة مقاومة عنيفة ضد الإدارة الإستعمارية، وكشف عزلتها عن الشعب.

2-النضال الثقافي والفكري مابين(1885- 1906):

بعد فشل الحركة الإحتجاجية غيّر القائمون منهجهم في العمل النضالي نحو الإصلاح الديني والإجتماعي الكفيل بالخروج بهم من الحالة التي يشكونها ولو بشكل تدريجي، فشعروا بواجب الإصلاح باعتبار أنّ كلهم من أبناء الحركة الاصلاحية وأغلبهم من موظفي الدولة، ويمكن تقسيم النشاط النضالي حسب المجالات على النحو التالي:

2-1-النشاط الجمعوي:

-الجمعية الخلدونية :هي جمعية ثقافية تأسست 1896 سنة برئاسة محمد الأصرم لنشر العلوم العصرية باللغة العربية، وتمتعت نظامها على غرار نظام الجمعيات،تتكون من أعضاء مشتركين تنتخب جمعيتهم العمومية رئيسا وأعضاءا، صدر قانونها الأساسي وانتخب أول رئيس للخلدونية الأمير **ألاي محمد القروي** ومجلس يتكون من البشير صفر وأصحابه من خريجي الصادقية[2]، استمرّ الأمير ألاي محمد القروي عاما واحدا في رئاسة الخلدونية لاعتبارات سياسية ثم خلفه البشير صفر مع محمد الأصرم، وكانت الجمعية تنظم دروسا في اللغة العربية والتاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية والرياضيات والإقتصاد واللغة الفرنسية، فكانت دروس البشير صفر في التاريخ والجغرافيا منبرا لنشر الثقافة بفصاحة وقوة بيان في إبراز حقيقة السياسة الإستعمارية [3].

وتعرّضت الجمعية لهجمات من غلاة المعمرين وبعض الشيوخ المحافظين بما رأوه من خطر على مصيرهم بعد تفتّح الجمعية على العلوم العصرية وتكوينها للشباب التونسي، وكانت مساهمة الجمعية كبيرة خاصة فيما تعلق منها بتعليم العلوم والفنون إضافة إلى الطرق الجديدة على الحياة العلمية من خلال النقاشات الفكرية المتعلقة بالمسائل

---

[1] .عبد المجيد كريم وآخرون، المرجع السابق، ص 20 -21.

[2] .وكان أغلب الوافدين إليها من طلبة الزيتونة، كما كانت تدرس باللغة الفرنسية، وتقدم محاضرات ودروس شملت مختلف ميادين المعرفة والثقافة يلقيها أساتذة تونسيون وأجانب، ومن أشهر المحاضرين بشير صفر، للتفاصيل أنظر: الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 70 وما بعدها .

[3] .عبد المجيد كريم وآخرون، المرجع السابق،ص27.

الدينية وفتح المجال أمام الباحثين من النظر وبحث وبرهان، وأصبحت بمثابة جامعة شعبية تمثل رغبة التونسيين في العلم والتعلّم وتقاوم المخططات الإستعمارية التي تسعى إلى اقصاء التونسيين من التعلم والتحصيل.

-**جمعية قدماء الصادقية:** هي جمعية ثقافية تدعو إلى الأخذ بالأفكار العصرية والنفس التحديثي تأسست في 23 ديسمبر 1905على أساس تقرير حرّه السياسي علي باش حانبه، وابتدأت عملها في أوائل سنة 1324هـ/1906م،واندرج هدف إنشائها في إطار خلق علاقات تعاون وتضامن بين خريجي المعهد الصادقي والإندماج في الحياة المهنية، وأسندت رئاستها إلى الأستاذ خير الله بن مصطفى، كانت تقدم فيها محاضرات بالفرنسية وحتى العربية منها محاضرة الشيخ الطاهر ابن عاشور في ربيع الاول 1324هـ/1906م أول محاضرة عربية ألقيت في قدماء الصادقية [1].وقد بلغ عدد المحاضرات التي ألقيت في الجمعية خلال سنة ما بين أفريل 1906 وأفريل 1907 حوالي 84 محاضرة، 27 منها في مقرّ الجمعية و57 منها في مختلف الأحياء بالعاصمة، وتمحورت مواضيعها في مجالات مختلفة التاريخ الإسلامي وحفظ الصحة والإقتصاد كالفلاحة والصناعة وغيرها [2].

ولم تلبث هذه الجمعية أن تحولت تحت تأثير مجموعة من المحامين الشبان مثل علي باش حانبه وحسن القلاتي ومحمد نعمان من مؤسسة ثقافية إلى منبر سياسي يعبّر عن مواقف سياسية حول تطلعات الأهالي والعلاقات بين الفرنسيين والتونسيين، ومناقشة القضايا الإستعمارية والتجاوزات الإدارية وحقوق التونسيين[3].

ورغم أنّ العمل الجمعوي تركزت اهتماماته في الجانب التعليمي والثقافي بسبب تقييد قوانين الجمعيات بعدم الخوض في المسائل السياسية الدينية، إلاّ أنّ نشاطه التعليمي العصري والمطابق لنظام التعليم الإستعماري قد ساهم بشكل كبير في تبلور الوعي الوطني لدى الشباب التونسي بما تضمنه في مبادئه من عقلية الرفض والمنازعة، ونشر الأفكار الثورية في البلاد التونسية خاصة وأنّ الإهتمامات قد توسعت باتجاه النضال السياسي عن طريق الدفاع عن حقوق التونسيين ومناقشة القضايا الإستعمارية والبحث عن حلول للجمع بين العمل الفكري والسياسي وإصلاح الوضع التونسي.

2-2- النشاط الصحفي: مثلت الصحف منبرا ثقافيا وسياسيا اندرجت ضمنه الكثير من المطالب وساهمت في تبلور الوعي الوطني والعمل النضالي، وفيما يلي أهم الجرائد التي ساهمت في النضال التونسي:

-**جريدة الحاضرة:** تأسست في 02 أوت 1888، وهي أول جريدة عربية غير رسمية بتونس، وكان مديرها علي بوشوشة [4]حيث شنّت حملات على السلطات الإستعمارية، وندّدت بسياسة الإدماج، ولقيت رواجا عظيما

---

[1]. الفاضل بن عاشور، المصدر السابق،ص 122.

[2] .عبد المجيد كريم وآخرون، المرجع السابق،ص 29.

[3] .نور الدين الدّقي، تونس من الأيالة إلى الجمهورية،ص 80.

[4] .من مواليد 1859 من بنزرت بدأ تعليمه في الكتاب ثم الزيتونة والمدرسة الصادقية وهو من المتخرجين من المدرسة العسكرية بباردو،بعثته الحكومة سنة 1878 إلى انجلترا لمواصلة دراسته، وعندما أرجعته سلطات الحماية سنة 1881 اضطلع بالصحافة، وكان معدودا من كبار الموظفين ومن ذوي

عند قرّاء العربية المنبثّين في داخل المملكة، وكانت نزعتها تركية إسلامية لا يخلو عدد من أعدادها من حديث عن دار الخلافة العثمانية كما قامت خطتها على الدعوة إلى الأخذ بوسائل التمدن الأوروبي، وسلكت مسلكا سياسيا معتدلا يتجنب إثارة سخط الإدارة، وتولى الشيخ محمد السنوسي (1851-1900)كتابة المقال الإفتتاحي، ووجدت بعض التأييد من طرف رجال الإدارة الإستعمارية مثل الكاتب العام رينو وما شويل مدير المعارف، رغم أنّ توجهاتها الأخرى كانت تسعى لخدمة سياسة الدولة العثمانية، وشارك في نشاطها شيوخ من أمثال: الشيخ سالم بوحاجب الذي لم يبخل بتوجيهاته ونصائحه وأفكاره لمواصلة الجريدة لمسارها وتغيير خطّتها نحو غايتها السّامية والعمل على تطبيق برنامج إصلاحي يمثل امتدادا لبرنامج الوزير خير الدين، واتّجهوا نحو العمل على المبدأ الذي قامت عليه الدّعوة الإصلاحية بإدخال العلوم العصرية على الثقافة الإسلامية، ومع ذلك فقد تنوعت أهداف جماعة الجريدة التي كانت رغم الإنتقادات المحاطة حول نشاطها تسعى إلى زعزعة جمود التونسيين للنهوض بهم فكريا وأخلاقيا وحتى اجتماعيا بما يسمح بتكوين مجتمع عصري يتناسب مع العالم المعاصر وكان شعار الحاضرة "كل آت قريب"[1].

-جريدة الزهرة: تأسست سنة1307هـ/ 1889م من طرف عبد الرحمان الصندلي،حيث استقلّت من أسرة الحاضرة، وكتب عليها مؤسسها أنها يومية تصدر مرتين مؤقتا في الأسبوع، وانتخبت مراسلين لها في كثير من الأقطار الشرقية، وتميزت كتابتها بالطابع النقدي والمطالبة والإحتجاج، وقد عبّر محمد الفاضل بن عاشور عن نشاط الزهرة بقوله:" وأبردت جريدة "الزهرة "غليل النفوس الوطنية فشرقت الإدارة وغصّت، حتى كان ظهورها يعتبر في تاريخ الصحافة بتونس، اعتبار ظهور جريدة "المؤيّد" في تاريخ الصحافة بمصر "[2]، ونظرا لمواجهة الجريدة للإدارة الإستعمارية فقد استعملت هذه الأخيرة القانون فعطّلتها سنة 1869م، وكان لهذا التوقيف أثر لدى القرّاء والوطنيين التونسيين عموما، والتفوا حولها نظرا لدفاعها عن القضايا الوطنية مقارنة بجريدة الحاضرة التي أصبحت منبوذة بسبب مهادنتها للسلطة الحماية واعتبروها جريدة شبه رسمية.

- **جريدة سبيل الرشاد:** من الصحف العربية التي ظهرت بتونس، وهي جريدة أسبوعية علمية أدبية سياسية تاريخية، صدر أول عدد لها بتاريخ: 23 جمادى الثانية 1313هـ الموافق لـ: 16 ديسمبر 1895 برئاسة عبد العزيز الثعالبي[3]، وقد انفرد المؤسس تقريبا بالمقالات المنشورة في الأعداد التسع الأولى، وعن توجهها فقد عبر الفاضل بن عاشور على أنها " تبدّت ..في سوابغ حلل الإعتدال الإسلامي متسربلة به أغلى ما شاء الله فهي

المعارف الواسعة في الطبيعيات والرياضيات، توفي في 18 أوت 1887، علي المحجوبي، جذور الحركة الوطنية التونسية 1904-1934، تعريب عبد الحميد الشابي، المجمع التونسي للعلوم والفنون والآداب، بيت الحكمة، تونس، 1999، ص 125؛ الفاضل بن عاشور،المصدر السابق،ص 77.

[1].عن مواضيع الحاضرة راجع: محمد السنوسي، الرياض الناضرة بمقالات الحاضرة، تحقيق وتقديم: علي العريبي، المركز الوطني للإتصال الثقافي،وزارة الثقافة، تونس، 2001، ص13-167.

[2] . الفاضل بن عاشور، المصدر السابق،ص 80؛ المحجوبي،جذور الحركة الوطنية التونسية،ص33؛ محمد الصالح المهيدي، تاريخ الصحافة العربية التونسية1860-1896، تحقيق وإكمال: أنس الشابي، دار نقوش عربية، ط1،تونس ،2010،ص 52.

[3] .نفسه،ص69.

حرّة في دائرة القانون والأداب، منزّهة عن التطرف في السياسة العامة ...ملازمة لجانب الحياد،لا تخدم إلا الملة والجامعة والحكومة والوطن"[1]، ولم يشارك الكتاب عبد العزيز الثعالبي في هذه الجريدة إلا ببعض النزر اليسير من الأخبار المحلية أو المقالات الإنشائية أو نقلها عن صحف شرقية، ولم تلبث طويلا وتوقفت في عامها الثاني، نتيجة الصعوبات التي واجهتها ولم يسلك صاحبها الطرق التي توصله إلى كسب المال، حيث لم يلبث أن سافر عبد العزيز الثعالبي إلى الأستانة ومصر[2].

وهناك جرائد أخرى لا تقل أهمية عن الصحف السابقة نذكر منها: -جريدة إظهار الحق لصاحبها أحمد القبايلي صدرت في 10 ماي 1904 وتميزت كتابتها بصلابة الرأي والحدّة في الجدال الصحفي، وجريدة الرشديَّة ظهرت في 25 فيفري 1904، وجريدة الصواب كانت لها مواقف مختلفة عن الحاضرة في الكثير من المواضيع[3]، كما كان لجريد المنار دور كبير في متابعة القضايا التونسية وبما وجدته من صدى داخل تونس وناصرت الإصلاحيين التونسيين ومنهم عبد العزيز الثعالبي وما تعرّض له من تضييق واتهامه بالإلحاد والزندقة سنة 1902، والشيخ محمد شاكر في مدينة صفاقس الذي عزل من خطة التدريس وجردت منه شهاداته[4].

مثلت هذه الجرائد والمجلات رغم اختلاف توجهاتها منبرا لنشر الفكر والوعي القومي التونسي، ودافعت عن القضايا التونسية واستطاعت أن تساهم بأفكارها وطروحاتها في التعبير عن الكثير من مشاكل التونسيين وتشارك في عملية النضال ضدّ التعسف الإستعماري والإداري.

2-3 – الخطب: ساهم بعض الأعلام التونسيين بخطب في الدفاع عن القضية التونسية، ومن أبرز الخطب:

-خطاب البشير صفر[5] في 24 مارس 1906: في حفل رسمي أقيم لافتتاح تكية الأوقاف لإيواء العجزة قام البشير صفر بإلقاء خطابه التاريخي بحضور المقيم العام (ستيفان بيشون) حيث أشار إلى الإصلاحات التي يتوق إليها التونسيون وأشار إلى حالة الفقر التي يعاني منها الأهالي بسبب مصادرة الأراضي وركود التجارة وقلة الشغل، وكان لهذا الخطاب صدى كبير على الداخل والطرف الفرنسي[6]، خاصة وأنّ هذا الخطاب ألقي لأول مرة وكان أثره كبير بما تضمنه من وضوح وعلانية لمشكل الأهالي خاصة وأنّه أبرز أسباب الفقر وأشار إلى ممارسات الإدارة الاستعمارية في المجال الزراعي وتأثيرها على وضع السكان وطرح حلولا منها ضرورة الحفاظ على

---

[1] .الصالح المهيدي، المصدر السابق،ص 70.

[2] . الفاضل بن عاشور، المصدر السابق،ص 86.

[3] كانت لهذه الجريدة كتابات ومواضيع ومواقف عبرت عنها من خلال اعدادها ومقالاتها: الصالح المهيدي، المرجع السابق،ص 66- 67.

[4] .الجنحاني ، المرجع السابق ،ص 160.

[5] . البشير صفر 1856-1917، من أصل عثماني تكون في المعهد الصادقي وكان متفوقا في دراسته، وحظى بمكانة عند الوزير خير الدين باشا، واصل دراسته في معهد سان لويز بباريس تقلد وظائف في الدولة أبرزها وكيلا لجمعية الأوقاف ثم قائد لسوسة سنة 1908، تميز بآرائه الإصلاحية في مجلة الحاضرة". للتفاصيل انظرعنه: الصادق الزمرلي، أعلام تونسيون، تعريب: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 15-29.

[6] .هناك خطاب آخر لمحمد الأصرم في مؤتمر مرسيليا والمطالبة بتوفير الرفاهية والعدالة والحرية ونشر التعليم للتفاصيل أنظر: المحجوبي، جذور الحركة الوطنية،ص ص 137-138.

ملكية الأهالي الفلاحية والنهوض بالصناعات المحلية بواسطة إجراءات جمركية وتنمية التعليم الصناعي والتجاري والفلاحي.

وكان لهذا الخطاب استحسان وتأييد بالغ في الفكر العام التونسي،كما استنكر واحتج الفرنسيون فاندفعوا يهاجمون البشير صفر والشباب التونسي خاصة جرائد المعمر الفرنسي La colone francois، وتونس الفرنسية La Tunisie Francaise حيث قام فيكتور دو كارلينار بتهجمات عنيفية لا مثيل لها [1]، كما نجد بأنّ بعض الصحف كانت معتدلة تتقدمهم جريدة " الطان" التي تناولت دراسة المطالب التونسية وحاولت استعطاف الفئات المثقفة باللغة الفرنسية، كما تحركت فئات من الفرنسيين تدعوا إلى ضرورة إشراك النخبة التونسية ذات الثقافة الفرنسية في المجامع والمؤتمرات[2].

-مداخلة محمد الأصرم في مؤتمر مرسيليا الاستعماري بتايخ 05-09 سبتمبر 1906:

بحثا عن فكرة التقارب بين فرنسا والفئات المثقفة بالثقافة الفرنسية، وبمناسبة المعرض الإستعماري الدولي في مرسيليا من 05- 09 سبتمبر 1906،عقد مؤتمر استعماري تحت إشراف جمعية "الإتحاد الإستعماري الفرنسي" فاستدعوا للمشاركة في المؤتمر محمد الأصرم رئيس الخلدونية ومدير مصلحة الغابة بتونس وحسونة العياشي المحامي بمدينة تونس،حيث قدّم محمد الاصرم أربعة عشر تقريرا معمقا عن ميادين عديدة مثل التعليم والإقتصاد ومشاركة التونسيين والفرنسيين والمطالبة بتفعيل العمل التشاركي المبني على العدل، والقضاء على التمييز الموجود بين المعمرين والتونسيين في الإمتيازات الممنوحة، كما تم اقتراح وسائل وأساليب كفيلة بالنهوض بالفلاحة وتربية الماشية والتجارة والصناعات اليدوية والقرض ومساعدة الأهالي بإشراكهم في الإدارة والتسيير[3].

إضافة إلى ذلك فقد تضمنت مطالب ذات توجه سياسي مثل المطالبة بمنح دستور للتونسيين يقلص الفوارق بينهم وبين الفرنسيين بتونس، واقترح إصدار جريدة تنطق باسمهم وتدافع عن مصالحهم، وتقاوم عنصرية المعمرين باتجاه المساواة في الحقوق والواجبات.

وكان لهذه المقترحات والمطالب التي قدمت في كتاب طبع بالفرنسية في باريس سنة 1908 بمقدمة من قلم السفير "روني ميلي" نوع من النقد فقد اعتبرها جزء كبير من التونسيين نوع من التوجه للإمتزاج الغربي، والإبتعاد عن الأصول التي قامت عليها حركة النهضة بالدعوة للحفاظ على الهوية الذاتية الإسلامية العربية للبلاد[4].

---

[1]. شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير،القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، ترجمة: المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر،تونس، 1976،ص89.

[2] . الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص119.

[3] . المحجوبي، جذور الحركة الوطنية، ص137.

[4] . الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص120.